عام الوفود

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسولُ الله ﷺ مكة، وفرغ من تبُوك، وأسلمَتْ ثقيفٌ وبايعت، ضربت إليه وفودُ العرب من كُلِّ وجه.

وإنما كانت العربُ تَربَّصُ بالإسلام أمرَ هذا الحي من قريش وأمر رسول الله ﷺ وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - وقادة العرب، لا ينكرون في ذلك.

وكانت قريش هي التي نَصَبَت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلمَّا افتُتحت مكة، ودانت له قريش، ودوَّخها الإسلامُ، وعرفت العربُ أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، دخلوا في دين الله، كما قال (أفواجاً) يضربون إليه من كُلِّ وجه.

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾[1].

أيْ: فاحمَد الله على ما أظهر من دينك، واستغفره إنَّه كان تواباً.

ما كان من أمْر عدى بن حاتم:

كان رسول الله ﷺ قد بعث عليَّ بن أبى طالب في مئة وخمسين رجلاً من الأنصار على مئة بعير وخمسين فرساً، معه راية سوداء، ولواء أبيض إلى «الفُلس» وهو صنم طيئ، ليهدمه.

فهدموه وملأوا أيدهم من السبي والغنم والشاء، وفي السبي أُخْتُ عدي بن حاتم، أما عدي فقد هرب إلى الشام.

---

(١) سورة النَّصْر.

قال ابن إسحاق: قال عدي بن حاتم: ما كان رجلٌ من العرب أشدَّ كراهية لرسول الله ﷺ منى حين سمعت به، وكنت امرءاً شريفًا، وكنت نصرانيا، وكنت أسير في قومي بالمرباع[1] وكنت ملكاً في قومي.

فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهتُه، وقلتُ لغلام عربي كان لي، وكان راعياً لإبِلي: لا أبا لك، اعدد لي من إبلي أجمالا ذُلُلاً سماناً، فاحبسها قريبا مني، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فآذِنِّي.

ففعل، ثُمَّ إنه أتاني ذات غداةٍ، فقال: يا عدي، ما كنتَ صانعاً إذا غشيتك خيلُ محمد، فاصنعْه الآن، فإني قد رأيت رايات فسألتُ عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد.

قال: فقلت: فقرِّب إليَّ أجمالي، فقرَّبها، فاحتملت بأهلي وولدي ثُمَّ قلتُ: أَلحَقُ بأهل ديني من النصارى بالشام.

وخَلَّفت بنتاً لي في الحاضرة.

فأصابتها خيل محمد فيمن أصابت، فَقُدِم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيئ، وقد بلغ رسول الله ﷺ هرب عدي إلى الشام.

قال: فجُعلت بنتُ حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يُحبسنَ فيها، فمَرَّ بها رسولُ الله ﷺ، فقامت إليه فقالت: يا رسول الله: هلك الوالد، وغاب الوافد، فامْنُن عَلَيَّ، منَّ الله عليك.

قال: ومَن وافِدُك؟

قالت: عَدي بن حاتم.

قال: الذي فرَّ من الله ورسوله؟

---

(١) المرباع: ربع الغنيمة يكون لرئيس القوم في الجاهلية دون أصحابه.

قالت: ثُمَّ مضى رسول الله وتركني.

حتى إذا كان من الغد مرَّ بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي: مثل ما قال بالأمس.

قال: حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي، وقد يئست منه.

فأشار إليَّ رجلٌ من خلفِه أن قومي فكلِّميه.

قال: فقمت إليه، فقلتُ: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامْنُن عليَّ، منَّ الله عليك.

فقال ﷺ: قد فعلتُ، فلا تَعْجَلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون ذلك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثُمَّ آذنيني.

فسألت عن الرجل الذي أشار إليَّ أن أكلِّمه، فقيل: عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأقمت حتى قدم راكبٌ.

قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام.

قالت: فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهطٌ من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ.

قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحَمَلَني، وأعطاني نفقةً، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدى: فوالله، إني لقاعدٌ في أهلي إذ نظرتُ إلى ظعينة تصوب إليَّ تَؤُمنا.

قال: فقلتُ ابنة حاتم. قال: فإذا هي هي، فلمَّا وقَفَتْ عليَّ أخذتْ في اللَّوم: الظالم القاطع، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقيةَ والدِك عورتَك.

قال: قلتُ: أيْ أُخَيَّة، لا تقولي إلاَّ خيراً، فوالله، ما لي من عذر لقد صنعتُ ما ذكرتِ.

قال: ثُمَّ نزلت فأقامت عندي.

فقلت لها - وكانت امرأةً حازمةً -: ماذا ترينَ في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرَ والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فَضْلُه، وإن يكن ملكاً، فلن تذل في عزِّ اليمن وأنت أنت.

قال: قلتُ والله إنَّ هذا الرأي.

قال: فخرجتُ حتى أقْدمَ على رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده، فَسَلَّمتُ عليه.

فقال: مَنِ الرجلُ؟

فقلتُ: عدى بن حاتم.

فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته.

فوالله إنه لعامدٌ بي إليه، إذ لقيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً، فكلَّمها في حاجتها.

قال: فقلتُ في نفسي، والله ما هذا بملك.

قال: ثُمَّ مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادةً من أدَمٍ محشوَّة ليفاً، فَقَذفها إليَّ، فقال: اجلس على هذه.

قال: قلتُ: بل أنت فاجلس عليها.

فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض.

قال: قلت في نفسي، والله ما هذا بأمر مَلِك.

ثُمَّ قال: إيه يا عدي بن حاتم، ألَم تَكُ ركوسيَّاً[1]؟

---

(١) الركوسيون: قوم لهم دين بين النصارى والصابئين.

قال: قلتُ: بلى.

قال: أَوَلَمْ تكن تسير في قومك بالمرباع؟

قال: قلتُ: بلى.

قال: فإن ذلك لم يكن يحلُّ لك في دينك.

قال: قلت: أجل والله، قال: وعرفتُ أنه نبيٌّ مُرسَل يعلم ما يُجْهل.

ثُمَّ قال: لعلَّك يا عديّ، إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم.

فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجدَ من يأخذه.

ولعلَّك إنما يمنعُك من دخول فيه ما ترى من كثرةِ عدوهم وقلَّة عددهم.

فوالله، ليوشِكن أن تسمعَ بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور البيت لا تخاف.

ولعلَّك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أنَّ المُلكَ والسُلطان في غيرهم.

وأَيْمُ الله، ليُوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليه.

قال: فأسلمت.

ومما جاء فيما أخرجه الإمام أحمد، قال له الرسول ﷺ:

وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ.

قَالَ: قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟

قَالَ: نَعَمْ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ. وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ.

قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنَ الْحِيرَةِ فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ...)[1].

(١) أحمد – مسند الكوفيين، حديث رقم ١٧٥٤٨.

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ:

«بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ.

فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟

قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا.

قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لا تَخَافُ أَحَدًا إلاَّ اللَّهَ.

قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلادَ؟ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى.

قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ. وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ.

وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فلا يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ.

قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ.

قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لا تَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ»(١).

(١) البخاري - كتاب المناقب، حديث رقم ٣٣٢٨.

قدوم وفد بنى سعد:

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن الوليد بن نويفع، عن كريب مولى بن عباس، عن ابن عباس قال:

بَعَثتْ بنو سعد بن بكر ضِمَامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ فَقَدِم عليه، فأناخ بعيرَه على باب المسجد، فَعَقَلَهُ، ثُمَّ دخل على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس في أصحابه

فقال: أيُّكم ابنُ عبدالمطلب؟

فقال رسول الله ﷺ: أنا ابن عبدالمطلب

فقال: محمد؟

فقال: نعم.

فقال: يا ابن عبدالمطلب، إني سائلك ومُغْلِظٌ عليك في المسالة، فلا تَجِدَن في نفسك.

فقال: لا أجِدُ في نفسي، فَسَلْ عمَّا بدا لك.

فقال: أَنْشُدُكَ الله إلهك وإله أهلك، وإله مَن كان قبلك، وإله مَن هو كائن بعدك، آللَّهُ بعثّك إلينا رسولاً؟

قال: اللهم نعم.

قال: فأنْشُدُك الله إلهك، وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آللَّهُ أمرك أن نعبَده لا نشركُ به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟

قال رسول الله ﷺ: اللهم نعم.

ثُمَّ جعل يذكر فرائض الإسلام فريضةً فريضة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وفرائض الإسلام كُلّها، ينشده عن كُلِّ فريضة كما نشدَه في التي قبلها،

obeikandl.com

حتى إذا فرغ قال: فإني أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، لا أزيدُ ولا أنقصُ، ثُمَّ انصرف راجعاً إلى بعيره.

فقال رسول الله ﷺ حين ولَّى: «إن يصدق ذو العَقِيصَتَيْن[1] يَدْخُلِ الجنة»[2].

ثُمَّ أتى بعيره، فأطلق عقالَه، ثُمَّ خرج حتى قَدِمَ على قومه، فاجتمعوا عليه.

وكان أوَّل ما تكلَّم به أن قال: بئست اللاتُ والعُزَّى.

فقالوا: مَهْ يا ضِمَام، اتق البَرَصَ، والجنونَ، والجُذام.

قال: وَيْلَكُم، إنهما ما يَضُرَّان ولا ينفعان. إن الله قد بعثَ رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به ممَّا كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه

فوالله ما أمسى من ذلك اليوم - في حاضرته - رجلُ ولا امرأةٌ إلاَّ مسلماً

قال ابن إسحاق: فما سمعنا بوافدِ قومٍ أفضل من ضِمَام بن ثعلبة.

قدوم وفد النَّخْع:

وهم آخر الوفود قُدومًا علي رسول الله ﷺ قدموا في نصف المحرم سَنَة إحدى عشرة، في مائتي رجل، فنزلوا دارَ الأضياف.

ثُمَّ جاءوا رسول الله ﷺ مُقرِّين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذَ بن جبل رضي الله عنه.

فقال رجل منهم يُقال له «زُرَارة بن عمرو» يا رسولَ الله، إني رأيت في سفري هذا عجبًا.

---

(١) العقيصة: الشعر المضفور، وكان ضِمَام رجلاً جَلْداً أشعر ذا غديرتين.

(٢) أحمد - مسند بني هاشم، حديث رقم ٢١٤٢.

قال: وما رأيتَ؟

قال: رأيت أتاناً تركتُها في الحي، كأنها ولدت جدياً أسفَع أحوى[1].

فقال له رسول الله ﷺ: هل تركت أَمَةً لك مُصرِّةً على حمل؟

قال: نعم.

قال: فإنها قد ولدت غُلاماً وهو ابنُك؟

قال: يا رسول الله، فما لَهُ أسفع أحوى.

فقال: ادْنُ منى.

فدنا منه، فقال: هل بك من بَرَصٍ تكتُمه؟

قال: والذي بعثك بالحق ما علم به أحدٌ، ولا أطَّلع عليه غيرُك.

قال: فهو ذلك.

قال: يا رسول الله، ورأيت النعمانَ بن المنذر عليه قرطان مُدَمْلَجان ومسكتان.

قال: ذلك مَلِك العرب، رجع إلى أحسنِ زيِّه وبَهْجَته.

قال: يا رسول الله، ورأيت عجوزاً شمطاء قد خرجت من الأرض.

قال: تلك بقيةُ الدنيا.

قال: ورأيت ناراً خرجت من الأرض، فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو، وهي تقول: لَظَى، لَظَى، بصير، وأعمى، أطعموني، أكلكم أهلكم ومالكم.

قال رسول الله ﷺ: تلك فتنة تكون في آخر الزمان.

---

(١) الأسفع: الأسود المشرب بحُمرة، والأحوى كالتأكيد للأسفع.

قال: يا رسول الله، وما الفتنة؟

قال: يَقْتُلُ الناسُ إمامَهم، ويشْتجرون اشتجار أطباق الرأس - وخالف رسول الله ﷺ أصابعه - يحسبُ المسيئ فيها أنَّه مُحْسنٌ، ويكونُ دمُ المؤمن عند المؤمن فيها أحلَى من شرب الماء.

إنْ مات ابنُك أدركتَ الفتنة، وإنْ متَّ أنتَ أدركها ابنُك.

فقال: يا رسول الله، ادع الله أن لا أُدركها.

فقال رسول الله ﷺ: اللهم لا يدركها.

فمات وبقى ابنُه، وكان ممَّن خَلَعَ عثمانَ[1].

*****

(١) زاد المعاد: ٣/٨٩.

obeikandl.com